التنافس الدولي والاقليمي على ثروات بحر قزوين

هاشم كاظم صبيخي
كلية التربية- ميسان - جامعة البصرة

المقدمة : شهد العالم خلال العقد الأخير من القرن الماضي تطورات جيوبولتيكية كبيرة أهمها انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور دول مستقلة جديدة منها (أذربيجان، كازاخستان، تركمانستان، جورجيا الخ ...) وما تبعها من تغيرات في أنماط العلاقات والصراعات بين دول العالم، ومن بين ذلك التنافس والصراع حول ثروات بحر قزوين، خاصة بعد ان احتلت تلك المنطقة مكانة مهمة في الخريطة العالمية لما تملكه من ثروات هائلة من النفط والغاز الطبيعي، ولم يقتصر التنافس والصراع بين الدول المطلة على بحر قزوين، (روسيا، إيران، أذربيجان، تركمانستان، كازخستان) بل امتد إلى دول المجال الإقليمي والعالمي مثل تركيا، إيران، الولايات المتحدة الامريكية، التي اصبحت على مقربة من حدود تلك المنطقة بعد احتلالها أفغانستان والعراق تحت مظلة الحرب على الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل ونشر الديمقراطية.

وبعد ظهور دول مستقلة جديدة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي تسعى للحصول على

تقسيم جديد للثروات في بحر قزوين وهذا بدوره يؤدي نشوء وضع قانوني جديد باعتبار البحر دوليا وليس داخليا كما تريد الدولتان (روسيا وأيران).

ومن اجل تحليل آفاق الصراع والتنافس الجيوستراتيجي في هذه المنطقة لابد للبحث من دراسة الخصائص المكانية لمنطقة البحث لإبراز العوامل الدافعة لهذا الصراع ومن ثم تحليل المجال الإقليمي لها والعلاقات التبادلية بين أطراف هذا المجال ضمن اطار وقواعد اللعبة الدولية الجديدة.

الخصائص المكانية لمنطقة بحر قزوين :

يعد بحر قزوين* اضخم بحيرة مغلقة في العالم، إذ يبلغ طولها (١٢٠٠) كم وعرضها (٣٠٠ - ٥٠٠) كم في المتوسط، ويقع فيها (٥٠)جزيرة صغيرة وتبلغ مساحتها (٤٥٠٠٠٠)كم^{٢} ، وتستوعب البحيرة (٧٩٠٠٠)كم^{٣} من الماء ومتوسط عمقها (١٨٠)م اعمق نقطة فيها تقع بالقرب من السواحل الإيرانية، وينخفض مستوى سطحها عن مستوى سطح البحر(٢٧,٦)م، وتبلغ كمية المياه الواردة إليه سنوياً حوالي(٣٠٠)الف كم^{٣} ، يتم تأمين(٥)% منها من الأراضي الإيرانية، وهنالك ثلاث انهار رئيسية (الفولكا - الأرال - الترك) تصب في بحر قزوين جميعها تجري من الشمال إلى الجنوب ويشكلون (٨٨)% من مياه البحر، ويعد نهر الفولكا اهم الموارد المائية لهذا البحر.

تقع منطقة الدراسة بين خمس دول روسيا الاتحادية من الشمال الغربي، وإيران من الجنوب الغربي، وكازاخستان ومن الشمال الشرقي، وتركمانستان

---

* يأخذ مسميات عديدة مثل بحر الخزر، طبرستان، مازندران، خراسان، جرجان، اسكون.

** شيفرون،أكسون ،موبيل.

مـــن الشـــرق، وإذربيجـــان من الغرب، ينظر خارطة (١). ويعد شـــاطئ كازاخستان هو الأطـــول على البحـــر أذ يبـــلغ طوله(١٩٠٠) كم، وإيران(٨٢٠)كم،وروســـيا وتركمانستان(٣٠١٩) كم، و الشاطئ الاذري (٦٤٠)كم أقصرهم[١].

الخصائص الاقتصادية:

يكتسب بحر قزوين أهميته العالمية لاحتوائه على احتياطيات كبيرة من الـــنفط والغـــاز الطبيعي، فضلاً عن احتواء مياهه على ثروات مهمة اخرى خلافـــاً لباقي البحار، فمياهه مشبعة بالكبريتات وغنية بالأســـماك (الكافيار والســـلمون) يقدر احتياطي بحـــر قزوين من النفط بـــ(٢٠٠)مليار برميل نفـــط ســـنويا، لكـــن التقديـــرات القريبة من الدقة تـــذكر ان هذا الاحتياطي يتراوح بين ٣٠ – ٤٠)مليار برميل او حوالي(٩٠)مليار برميل سنويا[٢]، كمـــا تداوله شركات النفط الغربية الكبرى التي تنشط في المنطقة* ويحتوي على نحو(٥)تريليون مكعب من الغاز الطبيعي تستحوذ كل من روسيا وإيران على(٧٠)% من المخزون العالمي للغاز، في حين تشير التقديرات الإمريكية إلى أرقـــام تفوق هذه التقديرات، فقد وصف الخبير الأمريكي (ستيفن كينزر) بحر قزوين بأنه كتلة ماء مالحة بحجم كالفورنيا وبأنه اضخم كمية محصورة مـــن الماء تختبئ تحت قاعها ما يقارب (٢٠٠) مليار من النفط او ما يعادل(١٦)% من احتياطي النفط العالمي، ويتفق (جوليان لي) الخبير في دراسات الطاقة الذي يتخذ من لندن مقراً له، مع (كينزر)، ويضيف ان البحر يحتوي كذلك على نحو(٦٠٠)مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي.

ومهمـــا اختلفت التقديرات بشأن ثروات بحر قزوين تبقى أهميته قائمة حالياً وســـتزداد مســـتقبلاً بسبب التزايد في استهلاك النفط والغاز الطبيعي مقابل

تـناقص هذه الثروة من قبل الدول المنتجة، إذا استهلكت الدول الصناعية ما معدلـه(٥٨)% مـن الاستهلاك العالمي في عام ١٩٩٥، واستهلك الولايات المتحدة وحدها(٢٥)% منه، فالفرد الأمريكي يستهلك(٢,٥)ضعف استهلاك الفرد في الدول الصناعية المتقدمة الأخرى، والأرقام المعلنة في عام ١٩٩٦، تشير إلا ان الولايات المتحدة استهلك عشرين مليون برميل من النفط يومياً[٣] وبناءاً على ما تقدم اتضح الاهمية الاستراتيجية والاقتصادية القائمة لحوض بحـر قزوين وأدى هذا إلى تنافس بعض القوى الإقليمية والدولية فضلاً عن تكالب شركات النفط العملاقة الغربية وغير الغربية عليه، حيث وصل الحال إلى حـد تسـارع الشركات النفطية الأمريكية إلى السعي للاستئثار بنصيب الأسـد من امتيازات التنقيب عن النفط والغاز، بل إلى شراء وامتلاك حقول بأكملـها للـنفط والغاز في الجمهوريات المستقلة لأغراض البحث والإنتاج والتصدير[٤].

الوضع القانوني لبحر قزوين وتداعياته السياسية:

شـهد الـنظام القـانوني لبحر قزوين، تطورات مهمة خاصة بعد تفكك الاتحـاد السـوفيتي عام ١٩٩١، وما أعقب ذلك من ظهور دول جديدة أكثر اهـتماماً بمصالحها، ومن هنا أصبحت الاستفادة الأحادية من تلك المصادر الموجودة في بحر قزوين محوراً لنشأة خلافات ونزاعات عديدة وساعد على ذلك التقدم التكنولوجي الهائل الذي شهدته المنطقة خلال العقود الأخيرة، فقد أدى استخراج الموارد المعدنية والنفطية والغاز فضلاً عن اكتشاف العديد من الحقول، إلى زيادة أهمية بحر قزوين الاقتصادية[٥].

كـان النظام لقانوني للملاحة في بحر قزوين واستغلال ثرواته قبل انهيار الاتحاد السوفيتي، يتأسس على اتفاق ١٩٢١ الذي وقعته حكومتا الاتحاد السـوفيتي وايـران آنـذاك وتم بموجب إلغاء القيود المفروضة على حرية

الملاحة، وهناك اتفاق آخر وقع عام ١٩٤٠ بين الدولتين خاص بتحديد المياه الإقليمية الخاصة بهما إلى جانب اشتراكهما في الانتفاع بثروات البحر، غير ان تفكك الاتحاد السوفيتي واستقلال الدول الثلاث عنه والمطلة على بحر قزوين (أذربيجان، وكازاخستان، وتركمانستان)، أدى إلى نشوء وضع سياسي وقانوني دولي جديد، فقد رفضت الدول الثلاث مقترحات ايران باعتبار البحر بحيرة داخلية على المشاع، كما رفضت اقتراحاً روسياً – ايرانياً مشتركاً بالعودة والالتزام باتفاقية عام ١٩٤٠، وطالبت بصياغة نظام قانوني جديد تتفق عليه الدول الخمس[٦]، وعليه يمكن القول أنه أصبح هناك موقفان حول الخلافة في منطقة بحر قزوين.

الأول: تقوده روسيا وايران وتركمانستان ويدعو إلى اعتبار بحر قزوين حوضاً مائياً وبحيرة تتقاسم الدول المتشاطئة احتياطات النفط الموجودة فيه ولا بد من الالتزام بالاتفاقيتين (١٩٢١-١٩٤٠) ورغبت موسكو بالتمتع بحق الفيتو لتعطيل أي قرار يتعلق ببحرقزوين، وهكذا فمن حق هذه الدول استثمار المناطق المتاخمة لهذا البحر على بعد ٢٠ميلاً، في حين نجد وسط قزوين وحتى (٤٠) ميلاً ملكاً للدولة المطلة عليه.

الثاني: تدعمه أذربيجان وكازاخستن، ويدعو إلى سريان قانون البحار على بحر قزوين واقتسام أجزاءه المتشاطئة ويعني ذلك اعتباره بحيرة حدودية مقسمة إلى خمس أقسام كل منهما يمثل مياهاً إقليمية تتبع الدول الساحلية المطلة على البحيرة ولها وحدها الحق في هذا الجزء من البحيرة، الأمر الذي يجعل مناطق النفط تابعة لكل من أذربيجان وحليفتها كازاخستان، وترفضان في الوقت نفسه اتفاقيتي (١٩٢١-١٩٤٠) باعتبار أنهما لم تتناولا إلا الملاحة وصيد الأسماك ولم تتطرق إلى استغلال الموارد الطبيعية، فهما باطلتان في الوقت الحاضر[٧].

وعقدت عدة اجتماعات لتسوية الوضع القانوني للبحر، ففي شتاء ٢٠٠١ عقد أجتمع في موسكو تحت عنوان (مناقشة الوضع القانوني لبحر قزوين) حضرته الدول الخمس فضلا عن الولايات المتحدة، وعقد اجتماع آخر في تركمنستان في نيسان ٢٠٠٢، آلا انهما أخفقا في التوصل إلى وثيقة تحدد الاطر القانونية لتقاسم ثروات بحر قزوين.

وهكذا تحول النظام القانوني في أكبر بحيرة بالعالم إلى واحدة من أهم القضايا السياسية، وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي جرت وصولاً لأحداث تفاهم بين جميع الدول المطلة على ساحل بحر قزوين، ألا أنها فشلت في التوصل إلى تسوية مقبولة حول الوضع القانوني للبحر من جهة وحول اقتسام ثروات الطاقة التي يحتوي عليها من جهة أخرى، وعليه يمكن القول ان الدول المستقلة الجديدة تريد وضعاً قانونياً جديداً ينطلق من مصالحها الذاتية وارتباطاتها الدولية، فضلاً عن حاجتها اقتسام ثرواتها على أساس طول الساحل الذي تمتلكه كل دولة، بينما تتمسك كل من روسيا وايران بالاتفاقيات السابقة ولا تريدان وضعاً جديداً قد يؤدي في النهاية إلى ان تدفع تلك الدولتان ثمن أي وضع قانوني جديد ينتقص من امتيازاتها السابقة في بحر قزوين وعلى وجه الخصوص الثروة النفطية فيه، لذلك اصبح الوضع القانوني لبحر قزوين بعد عام ١٩٩١ موضع بحث ودراسة للمعنيين بشؤون آسيا الوسطى والقوقاز للخروج بصفة مثلى ومقبولة من قبل كافة الأطراف المتنازعة على ثروات هذا البحر(٨).

المواقف الأقليمية والدولية من الوضع الجديد :

يتضح من خلال الأحداث التي شهدتها المنطقة خاصة بعد هجمات ١١أيلول على الولايات المتحدة الأمريكية، إذ المشكلات الأمنية في بحر

قـزوين قـد تفـاقمت وأنها تسببت في منافسات شديدة بين القوى الإقليمية والدوليـة يهـدف خـلق تواجـد عسكري في هذه البقعة من العالم، ووضع ترتيـبات جديدة في المنطقة التي تعاني من تفاوت وجهات النظر بين الدول المتشاطئة على بحر قزوين حول إقرار النظام القانوني وعدم تماثل المصالح المشـتركة، وان تلك المشكلات هيأت الظروف لإيجاد تنافس دولي وإقليمي حـول ثـروات تـلك المنطقة للأستئثار بنصيب وافر منها. وسوف نتناول موقف كل دولة من تلك الدول المتنافسة بالتفصيل.

١. الموقف الروسي :

استحوذت منطقة بحر قزوين على اهتمامات موسكو الأمنية والاقتصادية وبذلت مساعي حقيقية لأحياء مكانتها السابقة في إطار علاقات جديدة مع دول بحـر قـزوين وعـلى الرغم من التذبذب في الموقف الروسي تجاه الوضع القـانوني والـذي يـتأرجح بيـن القـول بـأن الـبحر يعـد (بحراً داخلياً خالصاً) لا يرتبط بتواصل طبيعي مع أي بحر أخرى ومن ثم اعتـباره (أرثـاً مشتركاً) بين الدول المطلة عليه، وبين إمكانية التلويح باحتمالية تقاسم ثـرواته وشواطئه على أساس متساوٍ، ألا ان الخط الرئيسي الحاكم لتوجهات موسـكو يذهـب إلى اعتبار البحر بحيرة داخلية خالصة[٩]. وهناك مخاوف روسية واسعة بعد الحملة على أفغانستان فضلاً عن عزم حلف الناتو التوسع باتجـاه آسيا الوسطى وكذلك حراسة أنابيب نقل النفط من البحر ستوكل إلى القوات الأمريكية في قاعدة انجرليك التركية، وهذا ما دفع موسكو إلى رفض تقسيم بحر قزوين بين الدول المطلة عليه، وتسعى إلى جعله بحيرة داخلية لا يمكـن تقسيمها إلى مياه إقليمية. وتحاول روسيا تحجيم التعاون الشامل لدول

آسيا الوسطى مع واشنطن، لأن منطقة آسيا الوسطى قريبة من حدودها وان التواجد العسكري الأمريكي الطويل الأمد سيهدد سيادة ونفوذ روسيا، وشددت على ضرورة تطوير الأسطول الحربي في بحر قزوين ووصفته بأنه العامل الرئيسي للحفاظ على مصالح الدولة السياسية والاقتصادية خصوصاً وان روسيا ما زالت تعد هذه المنطقة من مجالها الحيوي، وان أي محاولة لتغلغل الغربي والأمريكي يعد ماساً بأمنها القومي(١٠) وقد بذلت روسيا مساعي حقيقية لأحياء مكانتها السابقة في إطار علاقات جديدة مع دول بحر قزوين، حيث وقعت اتفقا مع كازاخستان من أجل تقسيم الموارد وأجراء مناورات عسكرية في بحر قزوين، وإعلان انشاء قوات الرد السريع من جانب الدول الأعضاء في مجلس الأمن الجماعي* ومما يجدر ذكره ان النفوذ الروسي السابق قد تدهور في دول آسيا الوسطى والقوقاز بسبب المشكلات الداخلية وعدم تمتع دولها بالاستقرار الاقتصادي والسياسي والثقافي وهو الباعث على تحول الدول المستقلة تجاه خارج نطاق المنطقة من أجل الاستفادة من المساعدات الأمنية والاقتصادية والسياسية، لكن التطورات الأمنية في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز، بعد إحداث ١١ أيلول، اتاحت فرصة استثنائية لروسيا من أجل الوصول إلى أهدافها الأمنية والاقتصادية، وفي إعادة النظر في المنطقة من حولها وإقرار علاقات جديدة مع دولها(١٢).

٢-الموقف الإيراني :

تتمتع ايران بميزات إستراتيجية مهمة تمكنها من تأدية دور حيوي في منطقة بحر قزوين وذلك بسبب موقعها الجغرافي واستلاكها للإمكانات اللازمة لإنتاج السلع الاستهلاكية التي تحتاجها دول المنطقة فضلاً عن امتلاكها الكفاءات والقدرات العالية في إنتاج وتكرير النفط والغاز الذي يمثل

١٩٥- المصدر نفسه ، ٦٣٤ .

١٩٦- المصدر نفسه ، ٢٢ .

١٩٧- المصدر نفسه ، ٢٧٠ .

١٩٨- المصدر نفسه ، ٥٤٥ .

١٩٩- المصدر نفسه ، ينظر على سبيل المثال ٦٩ ، ٩٥ ، ١٨٠ ، ٢١١ ، ٥٤١ ، ٥٥٥ ، ٦٣٣ ، ٦٥١ ، ٦٥٥ ، ٦٧٨ ، ٧٠٩ .

٢٠٠- المصدر نفسه ، ١٦٥ . وينظر أيضا ١٥٧ ، ٢٥٢ .

٢٠١- المصدر نفسه ، ٢٠٢ . وينظر أيضا ١٦٧ ، ٣٧٥ ، ٤٥٢ .

٢٠٢- المصدر نفسه ، ينظر على سبيل المثال ٢٢ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٩٣ ، ٢٧٠ .

٢٠٣- المصدر نفسه ، ٣٠٣ .

٢٠٤- المصدر نفسه ، ينظر على سبيل المثال ٦٩ ، ١٣٨ ، ٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣٤٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٣ .

٢٠٥- المصدر نفسه ، ينظر على سبيل المثال ٢٦٣ ، ٣٠٧-٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٤٦- ٣٤٨ ، ٣٥١- ٣٥٧ ، ٥٧٠- ٥٨٠ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣- ٥٨٧ ، ٦٠٣ ، ٦١٦ .

٢٠٦- المصدر نفسه ، ينظر على سبيل المثال ٢٦٠- ٢٦١ ، ٣٧٨ ، ٤٣٦ ، ٤٤٤- ٤٤٥ ، ٤٥٧ ، ٥٥٧ ، ٥٨١ ، ٦١١ .

٢٠٧- المصدر نفسه ، ٣٧٥ ، ٤٢٤ ، ٤٧٨ ، ٥٤١ ، ٥٥٥ .

٢٠٨- المصدر نفسه ، ينظر على سبيل المثال ١٥٣ ، ١٩٢ ، ٢٣٢ ، ٢٩١ ، ٣٢٠ ، ٤٤٠ ، ٤٩٦ ، ٥٣٢ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٣ ، ٦٤٩ ، ٦٥١ ، ٧٠٨ .

٣ – مواقف الدول المستقلة :

أولاً. ذربيجـــان ، وهـــي مـــن الدول التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي ولديهـــا احتياطات كبيرة من النفط والغاز الطبيعي حيث يقدر احتياطي النفط ما بين (٣,٥– ٥) بليون طن فضلا عن(٦٠٠)بليون متر مكعب من الغاز [١٥].

ولقـــد انحـــازت أذربيجان إلى المواقف الداعي إلى تقسيم البحيرة بين الدول الساحلية بناءً على القواعد الدولية للبحار وتقسيم سطح البحيرة طبقاً لخطوط المنتصـــف، بـــادرات إلى ادخـــال مقترحاتها بشان بحر قزوين إلى قوانينها الأساســـية وان إصـــرارها على هذا الموقف يعتمد على توجهات اقتصادية وسياســـية تســـاندها فـــي ذلك الولايات المتحدة الأمريكية عسكرياً وسياسياً واقتصـــادياً والداعـــي إلى تطـــبيق اتفاقيتي الأمم المتحدة لقانون البحار لعام ١٩٨٢على بحر قزوين مما يعني وضع صياغة قانونية جديدة باعتباره بحراً دوليـــا تتقاســـم الدول المطلة عليه سواحله وثرواته بناءً على حجم تواجدها عـــلى الساحل وفي إطار هذا التوجه طورت أذربيجان علاقاتها مع الولايات المـــتحدة فـــي مجال استكشاف واستثمار ونقل النفط، إذ وقعت معها في أب ١٩٩٧ ثـــلاث عقـــود مع شركات شيفرون وأكسون وموبيل لصالح شركة الـــنفط الحكومية بقيمة تصل إلى(٨)مليارات دولار، وقد أثارت تلك العقود غضب الحكومة الروسية التي ردت عليها بإلغاء الاتفاقية الروسية – الأذرية، لاستثمار حقول (كياباز) على بحر قزوين[١٦].

ثانياً. تركمانستان:

لديها أيضاً احتياطات ضخمة من النفط والغاز الطبيعي إذ تبلغ الكمية بـــ(٦,٥)بـــليون طـــن، بالإضافة إلى(٥,٥)ترليون متر مكعب من الغاز وهي بذلك تعد رابع

دولـــة فـــي العالم بالنسبة للاحتياطات المكتشفة [١٧]. وقد اتخذت تلك الدولة موقفاً متشدداً من قضية بحر قزوين، فبالإضافة إلى توجهاتها الغربية فأنها لم تخف سياستها الهادفة إلى العبور للبحار المفتوحة ضمن طريق قناة فولكا – دن، لأنهـــا تـــريد الخروج من العزلة وتحتاج إلى طرق اتصال وارتباط مع الـــبحار المفـــتوحة، وانها تشجع وتآزر أي خطة تلبي مطالبها وتقوم بتأمين مصـــالحها في هذا البحر. وضمن هذا التوجه فقد دعت الامم المتحدة لتولي مسؤولية دعاية مفاوضات الغرض منها التوصل إلى الوضع القانوني الخاص بالـــبحر فـــي أعقاب نزاعها مع أذربيجان حول التنقيب في حقل (سبزدار) النفطي [١٨].

ثالثاً. كازاخستان

تتبـــنى تلك الدولة موقفاً يقضي بتطبيق الوضع القانوني للبحار على بحر قـــزوين بوصـــفه أفضـــل الحلول التي تضمن وتؤمن الحقوق البحرية لدول مـــــــــنطقة بحـــــــــر قـــــــــزوين، وتســـــــــعى كازاخستان دائماً للتوافق مع روسيا مما يمكنها من دعم أنشطتها في عمليات التـــنقيب واستغلال الموارد النفطية والممرات المائية الروسية، حيث تتوافر لديهـــــــا كميـــــــات ضـــــــخمة مـــــــن الـــــــنفط والغاز الطبيعي تقدر كمياتها بـــ(٦)بليون طن من النفط و(٢)ترليون متر مكعب من الغاز الطبيعي [١٩]. كذلك عقدت اتفاقية مشتركة معها عام ١٩٩٨ لإنشاء خط افتراضي بينهما يضع الحد الفاصل بين الحدود الساحلية الروسية والكازاخســـتانية وأنهـــا تطمـــع في الحصول على النصيب الأوفر من بحر قـــزوين، لكـــن رد فعـــل الحكومات الأخرى تسبب في تعليق هذا الاتفاق[٢٠]

).لخوفها من نسبة المحاصصة الساحلية غير المحببة لبقية دول حوض بحر قزوين.

٤. الدور الأمريكي

تضـــع الولايات المتحدة منطقة بحر قزوين في قمة اهتماماتها وأهدافها الاســـتراتيجية مـــنذ أمـــد بعيد وكان التحرك الأمريكي المكثف ضد الغزو السوفيتي لأفغانستان عام ١٩٧٩ أحد مظاهر هذا الاهتمام.

ولم تخف الإدارة الأمريكية الحالية في عهد بوش الابن التحدث بصراحة عن مـــنطقة آســـيا الوسطى والقوقاز وفي القلب منها بحر قزوين منطقة مصالح للولايات المتحدة الأمريكية الحيوية، وفي هذا الإطار يؤكد الخبير الأمريكي (كيـــنزر) ان مـــنطقة بحـــر قزوين تتحول تدريجياً إلى بؤرة صراع دولي ســـيجعل مـــنها واحدة من المناطق الساخنة في العالم وذلك لطبيعة الثروات النفطية وغيرها التي توجد فيه.

ولقـــد كان لانهيار الاتحاد السوفيتي واستقلال الجمهوريات سابقة الذكر سبباً فـــي حدوث تغيرات جيوبولتيكية مهمة، إذ فتح استقلال هذه الدول الباب امام تدخل الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة في المنطقة لكونها منطقة غنية بـــالموارد الاقتصـــادية، فضـــلاً عن التجانس الثقافي بين دول المنطقة التي أعطاها هوية خاصة، وأعطت أحداث ١١ أيلول والولايات المتحدة الفرصة المناسبة، حتى تقوم بإعادة بناء الاتحاد السياسي والعسكري مع دول المنطقة برغبـــتها فضـــلا عن حجة مكافحة الإرهاب، كذلك أتاحت لها تلك الظروف منافســـة روسيا في إقرار علاقات قوية مع دول آسيا والقوقاز كما هيأت تلك الظروف وقد أعطت تلك الأحداث المبرر للولايات المتحدة لتصفية حساباتها السياســـية والاقتصـــادية مـــع منافســـيها، إذ أتبعت أساليب عديدة مثل منح

الامـــتيازات وممارســـة الضـــغوط ومضاعفة التهديدات الإقليمية واستغلال الدعايـــة لصـــالح احياء العزلة الروسية في آسيا الوسطى، وعلى هذا النحو أنشـــأت قواعـــد عسكرية في المنطقة واختيرت منطقة (ماناس) القريبة من (بشـــكك) في كازاخستان لتكون مركز أنشطة المواصلات، كذلك قامت بنقل بعض المهمات الستراتيجية من قاعة (انجرليك) التركية إلى قاعدة (ابشرون) فـــي أذربيجـــان، فضـــلاً عـــن إصرارها على توسيع حلف (الناتو) ليضم جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، خاصة الإسلامية منها المطلة على بحر قزوين، وان الولايات المتحدة تدرك ان روسيا ما تزال تشكل منافساً مهماً لها وقد يحبط محاولاتها المستقبلية للتغلغل السياسي والاقتصادي في المنطقة ولا سيما انها ما تزال تمتلك الترسانة النووية والإمكانات المنافسة للأمريكان [٢١] .

ويـــؤدي المسعى الأمريكي هذا إلى خلط الأوراق وتداخلها بين الاستراتيجي والسياســـي والاقتصـــادي وربط الأهداف الاقتصادية (السعي للسيطرة على مـــوارد الطاقـــة بخطوط نقل النفط والغاز) بالتوجهات الاستراتيجية عسكرياً وسياســـياً وإلى مزيد من الإرباك والاضطراب في سياسات الدول الإقليمية مثل إيران و روسيا والصين[٢٢].

وهكـــذا يتضـــح ان اهـــتمام الولايات المتحدة الأمريكية من التغلغل في تلك المـــنطقة تـــأتي مـــن كونها منطقة الموارد الكبرى المحتملة خارج الشرق الأوســـط ، فضلاً عن استمرار العنف في الشرق الأوسط الذي قد يؤدي إلى وقف الإمدادات النفطية او تقليصها يعزز على نحو واسع اهتماماتها بموارد بحر قزوين.

٥. الدور التركي

لـم تستطع تركيا حتى الآن ان تلعب دور فعال في منطقة بحر قزوين، بالـرغم مـن الأوراق الرابحة التي تمتلكها والتي من بينها الدين واللغة والموقع الجغرافي، لأنها لم تطور مصالحها الاقتصادية مع دول آسيا الوسطى خصوصاً الناطقة بالـتركية [٢٣] والـتي يمكـن ان تـلعب دوراً جيوستراتيجياً تتنافس فيه مع روسيا،ولكنها تتطلع إلى دور اقتصادي واسع تلعبه في التعاون المشترك مع هـذه الجمهوريـات الـتي تعـد من أغنى الأقاليم العالمية في المواد الخام وخصوصـاً الـنفط والغـاز الطـبيعي التي تعتبر حيوية بالنسبة للاقتصاد والصـناعة التركية، خاصة وان تركيا تعاني من شحة الموارد النفطية وان الاندفـاع التركي نحو تلك الدول هو اندفاع سياسي واقتصادي في آن واحد هـو يحظى بدعم ومساندة الولايات المتحدة التي ترغب أن تقوم تركيا بملأ الفـراغ في الجمهوريات الجديدة بدلاً من روسيا وإيران، خاصة وان هناك اتجاه متعاطف عرقياً معها في كل من أذربيجان وتركمانستان، تسعى تركيا لاستغلاله في صالحها في المنطقة [٢٤].

٦. الدور الإسرائيلي

اعـتادت السياسة الإسرائيلية ان نراها دائبة على استثمار أية فرصة في التغيرات السياسية لكسر طوق العزلة الجغرافية حولها وكانت(إسرائيل) أسـبق مـن غيرها في إعلان الاعتراف بالكيانات السياسية الجديدة وإقامة البعثات الدبلوماسية والقنصلية كاملة معها، ولعل ما يساعدها في ذلك هو ان حركتها في دول حوض بحر قزوين مقبولة دولياً، بل تلقى تشجيعاً من أمريكا وتركيا لتأدية أدوار تتكامل وكل منها، وتحاول الوفود الإسرائيلية ان تكرس تحـركاتها ونياتها غير مريبة تجاه تلك الدول، ولذا كانت مساعدتها موضع

ترحيب في إعادة تدريب وتجهيز القوات المسلحة في تلك الدول، فضلاً عن وجـــود اعداد من المهاجرين اليهود من تلك الدول في إسرائيل ساعدها على ايجاد دبلوماسيين يقومون بمهماتهم على نحو مرض [٢٥].

ان نجـــاح(إسرائيل) وتغلغلها في دول بحر قزوين بصورة مباشرة او غيـــر مباشـــرة عبر النافذة الأمريكية سيشكل ما يشبه الخاصرة الستراتيجية تضغط على الوطن العربي والعالم الإسلامي من الشمال والشرق [٢٦].فضلا عن رغبتها في الحصول على مصادر الطاقة من هذه المنطقة عبر تركيا.

نقل النفط

من مظاهر التنافس الدولي في منطقة بحر قزوين وفي محاولة لرسم جيوســـتراتيجة جديـــدة فيها فقد انتقل التنافس إلى خطوط نقل النفط، ونظراً لكـــون التأثيرات اللاحقة لانشاء هذه الانابيب الناقلة، على البيئة الاقتصادية العالمية من حيث تعلقها بالطاقة وتأثيرها على أسعار النفط واستقرارية ميزان المدفوعـــات لـــلدول المختلفة من جهة ومن التداخلات السياسية والعسكرية لـــلدول المالكـــة ومن جهة اخرى. ويمكن ايجاز اهم خطوط النقل المقترحة بالآتي ينظر خارطة (٢).

١. خـــط كازاخســـتان – قزوين – نوفورسيلسك على البحر الاسود ويتفرع بـــدوره إلى فرعيين، احدهما يتفادى ارض الشيشان والاخر يمر بها، ويمثل هـــذا الخط امتدادا للنفوذ والمجال الحيوي الروسي وممارسته للدور الإقليمي السائد الذي تتمتع به روسيا ضمن ارث الاتحاد السوفيتي السابق لذلك يلاقي هذا البديل معارضة الجمهوريات المستقلة وحتى كازاخستان المتأثرة بروسيا كـــثيراً، حاولت احباط أي جهد يؤدي إلى هذا البديل وقامت بإعطاء(٥٠)% مـــن اسهم وحقول شركة (تنكيز) لشركة (شيفرون) المالكة وعلى ضوء هذه المواقـــف ســـتلجأ روسيا إلى مواقف مؤذية بحق أي دولة مستقلة، ومن هنا

يمكـــن فهـــم اصـــطفافها مع أرمينيا ضد أذربيجان وكذلك تأييد الانفصاليين الإبحاز في جورجيا. ومن المتوقع ان تبلغ إجمالي التكلفة ١,٥ مليار دولار وخلال فترة زمنية تمتد إلى ثمان سنوات.

٢. خـــط قزوين – جيهان على البحر المتوسط يبلغ طوله(١٧٦٠)كم منه(٤٦٨)كـــم فـــي أذربيجان و(٢٥٥)كم في جورجيا و(١٠٣٧)كم في تركيا وبكـــلفة إجماليـــة قدرها (٢,٤)مليار دولار. وهو البديل التركي الذي تؤيده الولايـــات المتحدة الامريكية، لأنه يحقق لتركيا مجموعة من المزايا يأتي في مقدمـــتها انه سيحقق لها مصدراً جيداً للدخل ويخفض من أعبائها الاقتصادية ويساهم في رفع المستوى المعاشي في المنطقة التي يمر فيها الخط وهي من أكـــثر مـــناطق تـــركيا تخلفاً وضطرابا (المنطقة الكردية)، كما انه سيشكل مصدراً إضافياً من مصادر القوة الجيوبولتيكية لتركيا الى جانب خطوط نقل النفط العراقي، ، كذلك يساعدها، على إطلاق يدها في تعاملها مع موضوعة الميـــاه ســـواء مع العراق أو مع سوريا، كما انه سيحرم روسيا من المردود المالي الهائل الذي ستدره خطوط الأنابيب لو مرت عبر أراضيها [٢٧].

وقـــد مارست تركيا دوراً كبيراً وهاماً على دول المنطقة من اجل انشاء خط بـــاكو جيهـــان تحت شعار (إنقاذ البحر الأسود من التلوث البيئي) وتخفيف ازدحـــام الســـفن فـــي المضـــايق التركية[٢٨] وكان البيان المعلن بين تركيا واذربيجـــان عـــلى انشاط هذا الخط عد بياناً تاريخياً وتعبيراً عن رغبة دول المـــنطقة المستقلة في استغلال ثرواتها الطبيعية. ويعود الهدف من إنشاء هذا الخـــط إلى نقـــل النفط الاذري إلى تركيا ومنها إلى اوربا، وكذلك نوع من الســـعي الامريكي الهادف إلى تشجيع تركيا للامتناع عن شراء النفط والغاز الإيـــرانى[٢٩].بسبب الصراع العقائدي بين أيران والولايات المتحدة منذ قيام

الثورة الايرانية في ايران عام ١٩٧٩ وموافقها المعادية مع (أسرائيل) واتهامها بالسعي لحيازة أسلحة نووية.

٣. خط قزوين – بندر عباس (عبر ايران) يعد من الخطوط الأكثر اقتصادية بدفعة نفط اسيا الوسطى وبحر قزوين إلى الخليج العربي أو حتى إلى خليج عمان لما وراء مضيق هرمز، وهذا الخط هو الأكثر أثارة للجدل بسبب الموقف الأمريكي الساعي لحرمان ايران من تلك المميزات، ويتوقع ان تكون تكلفته(٢٨)مليون وبفترة ست سنوات.

٤. خط اسيا الوسطى (كازاخستان) – قزوين – سينكيانغ – المحيط الهادي – تفضله الصين وهو أحد المشاريع العملاقة والطموحة ويمثل نقله جيو ستراتيجية كبيرة في آليات وأدوات استخراج ونقل النفط من الخليج العربي. ان طرح نفط قزوين وآسيا الوسطى على شاطئ المحيط الهادي فضلاً عن تأمين الاحتياطات الصينية بشكل مباشر سيغير من علاقات القوى المتعلقة أيضاً بموضوعة الطاقة. ولعل الميزة الجيوستراتيجية الكبرى التي ستحصل عليها الصين فيما لو تم امرار هذا الخط عبرها تحررها من الابتزاز النفطي الذي يمكن ان تمارسه الولايات المتحدة في مرحلة ما خلال القرن الحالي عليها وعلى قوى أخرى كأوربا [٣٠].

٥. خط قزوين – تركمانستان– افغانستان – باكستان – البحر العربي: ان إنشاء خط بهذا الشكل سيزيد من القيمة الجيوستراتيجية والجيوبولتيكية لكل من أفغانستان، والباكستان. كما انه سيربط إقليمي وسط اسيا بجنوبها ويحل مشكلة مهمة تعاني منها الجمهوريات المستقلة لكونها مغلقة جغرافياً، لعدم امتلاكها مباشر على البحر[٣١] وتنبثق اهمية تلك المنطقة التي يمر فيها إلى موقعها الجغرافي باعتبارها طريق مرور محتمل لصادرات النفط والغاز الطبيعي من اسيا الوسطى وبحر العرب، فضلاً عما تمثله أفغانستان من

موقعهـا استراتيجياً بين الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وشبه القارة الهندية وتقع في مكان وسط بين تركمانستان من جهة والأسواق المربحة والمرغوبة في الصين والهند واليابان من جهة أخرى[٣٢] وتواجه هذا الخط مجموعة من العوائـق لعـل في مقدمتها الوضع الافغاني المضطرب فضلاً عن وعورة الأراضي التي يمر فيها والذي يكلف مليارات من الدولارات.

الخاتمة:

يتضـح لنا من خلال البحث ان الخلافات بين الدول المتشاطئة حول الوضـع القانوني لبحر قزوين وكيفية اقتسام ثرواته وتفكك الاتحاد السوفيتي وظهور الجمهورات المستقلة الجديدة قد سهل للقوى الإقليمية والدولية النفوذ إلى هذه المنطقة للاستئثار بثرواتها وايجاد موطئ قدم فيها والتي ستكون من المناطق الأكثر سخونة في العالم والتي سيتركز حولها الاهتمام في المرحلة القادمـة وذلـك للإمكانات النفطية الهائلة والاحتياطات الغازية، فضلاً عن كونها منطقة شديدة الحساسية لتقاطع وتناقض السياسات الإقليمية الدولية لكل مـن روسيا والولايات المتحدة وإيران وتركيا. وان السبيل الوحيد لإبعاد تلك المـنطقة عن تدخلات الدول الكبرى هو التنسيق والتعاون بين دولها وإيجاد نظـام قانوني لاقتسام الثروات، وكذلك التنسيق والتعاون بين الدول الإقليمية والإسلامية من شأنه ان يضع العراقيل أمام الولايات المتحدة الأمريكية ويحد مـن محاولاتهـا من السيطرة على المنطقة سياسياً واقتصادياً خاصة بعد ان وضعتها بين فكي كماشة من الشرق والغرب بعد تدخلها العسكري بأفغانستان والعراق.

الهوامش :

١. بحـــر قـــزوين، الأمن والنفط والسياسة (ملف خاص)، مجلة مختارات إيرانية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد ٢٥، أب، ٢٠٠٢، ص ٥٥.

٢. د. احمد ثابت، أيران وتحديات الخلاف حول ثروات بحر قزوين، مجلة مختارات ايرانية، العدد ٢٥، أب، ٢٠٠٢، ص ٧٧.

٣.نـــاظم الشمري، محمد أحمد الدوري، الهيمنة الأمريكية على نفط الخليج العربي، بغداد، ١٩٩٧، ص ٩-١٠.

٤. د. احمد ثابت، مصدر سابق، ص ٧٧.

٥. بحـــر قزوين، الأمن والنفط والسياسة (ملف خاص)، مصدر سابق، ص ٥٧.

٦. د. احمد ثابت، مصدر سابق، ص ٧٨.

٧.د. محمود أبو الفضل، الصراع النفطي في اسيا الوسطى، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد ١٣١، ١٩٩٨، ص ٢٧٤-٢٧٩.

٨.د. احمد ثابت، مصدر سابق، ص ٧٩.

٩.المصدر نفسه، ص ٧٩.

١٠.اندريوناكورســـكي، عـــرض رقعة الشطرنج، ترجمة: ناطق خلوصي، مجلة الموقف الثقافي، العدد ١٤، ١٩٩٨، ص ١٢٦.

١١. سوسن اسماعيل محمد، العلاقات الأمريكية - الروسية، ١٩٩١-٢٠٠٠ ، أطروحة ماجستير، كلية العلوم السياسية، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٠٥.

١٢.بحـــر قـــزوين والرؤية الأمنية، مجلة مختارات إيرانية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد ٢٥، أب، ٢٠٠٢، ص ٦٠-٦١.

١٣.آفاق التعاون الايراني الهندي في آسيا الوسطة والقوقاز، مجلة مختارات ايرانية، العدد ٢٨، ٢٠٠٢، ص ٦٥.

١٤.ايـــران والخـــريطة الجديدة لغرب وشمال غرب اسيا، مجلة مختارات ايرانية، العدد ٢٨، ٢٠٠٢، ص ٦٥.

١٥.د. فـــوزي درويش، التنافس حول بحر قزوين، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد ١٤٣، ٢٠٠١، ص ٢٥٦.

١٦.د. احمد ثابت، مصدر سابق، ص ٧٩.

١٧.بحـــر قزوين والرؤية الأمنية، مجلة مختارات إيرانية، العدد ٢٥، ص ٦١.

١٨.المصدر نفسه، ص ٥٨.

١٩. د. فوزي درويش، مصدر سابق، ص ٢٥٨.

٢٠.بحـــر قزوين والرؤية الأمنية، مجلة مختارات ايرانية، العدد ٢٥، ص ٥٩.

٢١. محمـــود عبد الواحد محمود، التنافس الدولي على آسيا الوسطى، مجلة الحكمة، العدد ٢٨، ٢٠٠٢، ص ٣٦.

٢٢. د. احمد ثابت، مصدر سابق، ص ٧٨.

٢٣.كميـــل جمـــال، سباق محموم بين الرابطة الأمريكية والرابطة الروسية لنفط قزوين، مجلة الشاهد، العدد ١٦١ ، كانون الثاني، ١٩٩٩، ص ٦٨.

٢٤.أ.د. محمـــود عـــلي الدواد، أهداف السياسة الخارجية التركية في آسيا الوسطى، مجلة دراسات سياسية، العدد ١٠، ٢٠٠٢، ص ١٦.

٢٥.د. ظافـــر نـــاظم سلمان، العرب وجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية، العرب وآسيا، بغداد، ٢٠٠٠، ص ٣٥.

٢٦.د. عبد الوهاب القصاب، الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة آسيا الوسطى وتأثيرها على الأمن القومي العربي (العرب وآسيا)، بغداد، ٢٠٠٠، ص ١٣٩-١٤٠.

٢٧.المصدر نفسه، ص ١٤٠.

٢٨.كميل جمال، مصدر سابق، ص ٦٦.

٢٩.ايران والخريطة الجديدة لغرب وشمال غرب آسيا، مصدر سابق، ص ٣٧.

٣٠. د. عبد الوهاب القصاب، مصدر سابق، ص ١٤٤.

المصدر نفسه، ص ١٤٥.

٣١.شاي كومار، من أفغانستان إلى كولومبيا، ترجمة فالح عبد القادر، مجلة الحكمة، العدد ٢٨، آب، ٢٠٠٢، ص ٢٨.

المصادر :

١. ابو الفضل ، محمود ، الصراع النفطي في اسيا الوسطى ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٣١،١٩٩٨

٢.ثابت ، احمد ، ايران وتحديات الخلاف حول ثروات بحر قزوين ، مجلة مختارات ايرانية ، العدد ٢٥ ، ٢٠٠٢

٣.جمال ، كميل ، سباق محموم بين الرابطة الامريكية والرابطة الروسية لنفط قزوين ، مجلة الشاهد ، العدد ١٦١ ، ١٩٩٩

٤.الداود ، محمود علي ، اهداف السياسة الخارجية التركية في اسيا الوسطى ، مجلة دراسات سياسية ، العدد ١٠ ، ٢٠٠٢

٥.درويش ، فوزي ، التنافس حول بحر قزوين ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٤٣ ، ٢٠٠١

٦.سلمان ، ظافر ناظم،العرب وجمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية، (العرب واسيا)، بغداد،٢٠٠٠

٧.الشمري ، ناظم ، محمد احمد الدوري ، الهيمنة الامريكية على نفط الخليج العربي ، بغداد ،٢٠٠٢

٨.القصاب ، عبد الوهاب ، الاهمية الجيوستراتيجية لمنطقة اسيا الوسطىوتأثيرها على الامن القومي العربي ، (العرب واسيا) ، بغداد ، ٢٠٠٠

٩.كورسكي ، اندريونا ، عرض رقعة الشطرنج ، ترجمة ناطق خلوصي ، مجلة الموقف الثقافي ، العدد ١٤ ، ١٩٩٨

١٠.كومار ، شاي ، من افغانستان الى كولومبيا ، ترجمة فالح عبد القادر ، مجلة الحكمة ، بغداد ، العدد ٢٨ ، ٢٠٠٠

١١.محمد، موسى اسماعيل ، العلاقات الامريكية الروسية ١٩٩١-٢٠٠٠ ، اطروحة ماجستير كلية العلوم السياسية ، بغداد ، ٢٠٠١

١٢.محمد،عبد الواحد محمود،التنافس الدولي لاسيا الوسطى، مجلة الحكمة، العدد ٢٨ ، ٢٠٠٢

١٣.ايران والخريطة الجديدة لغرب وشمال غرب اسيا الوسطى،مجلة مختارات ايرانية،العدد ٢٨، ٢٠٠٢

١٤.بحر قزوين ، الامن والنفط والسياسة ، (ملف خاص) ، مجلة مختارات ايرانية ،مركز الاهرام ، للدراسات السياسية والاستراتيجية ، القاهرة ، العدد ٢٥ ، ٢٠٠٢

خارطة (١) الدول المطلة على بحر قزوين

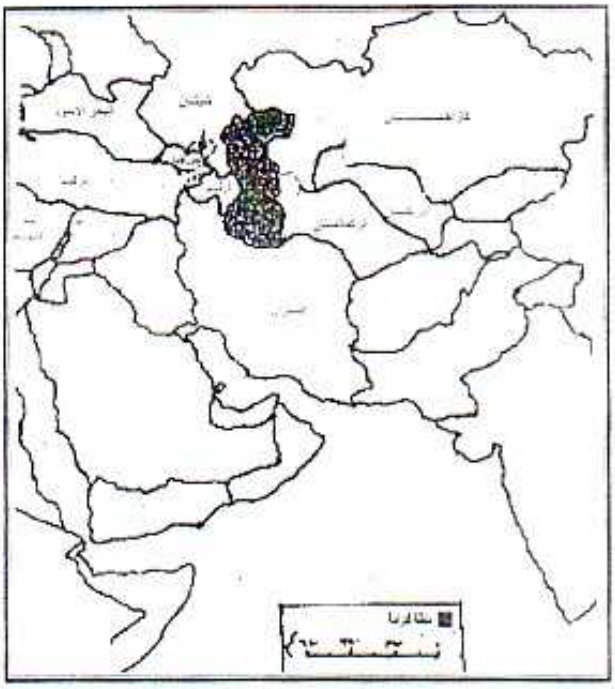

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على
شاير كوسار: من الفلسطان الى كوسوفو، مجلة الحكمة، بغداد، العدد ٢٠٠٢، ص ٢٦

خارطة (٢) انابيب نقل النفط المقترحة